(٧٠)

انقشاع كابوس بنى قريظة
بعد هزيمة الأحزاب

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾

[سورة الأنفال: الآيتان: ٢٧ – ٢٨].

• ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴾

[سورة الأحزاب: الآيات: ٢٥ – ٢٧]

* * *

«المدينة وقد انزاح كابوس الأحزاب! بيد أن كابوس الحصار وأثره وما صاحبه واقترن به جاثم مخيم على النفوس! لم يسبق أن تعرضت المدينة ولا تعرض الإسلام والمسلمون لخطر كهذا الخطر الذى أحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم!! لولا عناية الله ومدده الذى أزاح الأحزاب، لنال المدينة والإسلام والمسلمين شر مستطير هائل يكاد أن يبلغ حد الفناء!! عناية الله سبحانه وتعالى هى التى خيبت سعى اليهود والأحزاب وردت الذين كفروا بغيظهم فلم ينالوا خيرًا، وكفت المؤمنين القتال وردت المتآمرين بغيظهم فلم ينالوا ما تمنوه!! إن خطاب أبى سفيان ينضح بغل لا ينفد، وبوعيد لا يخطئه بصير.. إنه يتوعد الإسلام والمسلمين بيوم كيوم أحد يضمر أن يبقروا فيه النساء، وإن السعى الذى خاب لهؤلاء هذه المرة مجدول كامن فى نفوس هؤلاء الطغاة، واللؤم الذى طويت عليه قلوبهم كفيل بأن يردهم واليهود إلى إعادة المحاولة التى أخفقت!! لن يهدأ لهؤلاء بال حتى يصيبوا من الإسلام والمسلمين ما أرادوه.. لم يعد فى الإمكان أن تطمئن المدينة للغادرين الذين خانوا العهد وتحالفوا مع المغيرين لضرب المسلمين من خلفهم!! كيف يمكن أن تأمن المدينة من بعد إلى بنى قريظة التى خانت وغدرت؟! وكيف يغضى المسلمون عن هذا الخطر

الجاثم بالمدينة الداعى لأطماع الكافرين أن تلتئم معهم لمعاودة الكرة مرة ثم مرة لضرب المسلمين وتصفية دعوة الإسلام والقضاء عليها؟!! إن جرم الذين خانوا العهد وغدروا لأشد خطرًا وأثرًا ممن جاءوا مغيرين من خارج المدينة! وإن أمر اليهود لم يعد فقط أمر جزاء وجب وحق عليهم لقاء خيانتهم وغدرهم وتآمرهم مع العدو القادم من أشتات الجزيرة العربية، وإنما هو خطر قابع بأحشاء المدينة يتحين الفرصة لضرب مجتمع الهداية والإيمان الذى أخذ يتنامى فى ربوعها! إن السكوت عن عقاب الخيانة لم يعد سكوتًا فقط عن جزاء واجب، وإنما بات تفريطًا يجرئ الكفر والكافرين والمنافقين على معاودة الكرة والمضى فيما يبغون ويعرض الإسلام والمسلمين لأخطر العواقب!! إن هذه الخواطر لتتغشى المسلمين وهم يحملون متاعهم وعتادهم ويتخذون طريقهم للعودة إلى ديارهم وأسرهم التى خلفوها أيامًا طوالا من ورائهم ليصدوا إغارة الكفر والكافرين، فدبر اليهود لضرب ظهورهم ومداهمة النساء والذرارى - وفعلوا!!! وإن النبى - عليه السلام - لفى ذات هذه الخواطر يسترجع ما تكبده المسلمون من شهداء ومن خسائر وما حاق بهم من مخاطر - يلم به هاتف الوحى أن لا بد من تصفية أمر بنى قريظة، فلم يعد فى قوس الصبر منزع، ولا

عاد بالإمكان تركهم وما فعلوا!! النبى – عليه السلام – يدعو من يؤذن فى الناس بما أوحى به إليه..».

النبى : (لأصحابه) من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلينّ العصر إلا فى بنى قريظة..

«المسلمون يتنادون بما سمعوا به من الرسول.. يحولون وجهتهم إلى صياصى وحصون بنى قريظة.. النبى – عليه السلام – يدعو إليه علىّ بن أبى طالب فيعهد إليه أن يحمل لواء المسلمين إلى آطام القريظيين بجنوب المدينة..».

* * *

«على حصون بنى قريظة بجنوب المدينة، لسبع بقين من ذى القعدة لسنة ٥هـ. على ابن أبى طالب وقد سبق إلى مشارف الحصون فى عدد من المهاجرين والأنصار.. على يغرز رايته، بينما يطل القريظيون من أعالى أسوار صياصيهم وقد أدركوا الغيوم التى أخذت تتجمع لقتالهم وعقابهم على ما فعلوا! يبادر بعضهم إلى السهام يرمون بها المسلمين من أعلى الحصون، بينما ينجرف آخرون إلى سب الإسلام وسب الرسول ﷺ بأقبح الشتائم.. يطل معهم من على الحصون زعماء اليهود ومنهم حيى بن أخطب وكعب بن أسد، فلا ينهون سفهاءهم عن سيل

الشتائم التى أخذوا يرمون بها رسول الإسلام ونساء المسلمين.. علىّ بن أبى طالب يلمح النبى – عليه السلام – قادمًا فى لأمته على فرس يقال له «اللّحيف».. يشفق علىّ أن يسمع الرسول أذى وشتائم اليهود، فيسارع إليه راميًا أن يكفه عن التقدم..».

علىّ بن أبى طالب : (مشفقًا) يا رسول الله، لا عليك.. لا تدنُ من هؤلاء الأخابث!

النبى : لم يا علىّ؟!

على : إن الله تعالى كافيك اليهود!

النبى : أظنك سمعت لى منهم أذًى!

على : نعم يا رسول الله..

«أسيد بن حضير يشق الصفوف إلى مشارف الصياصى.. يقف مناديًا على القريظيين».

أسيد بن حضير : (صائحًا من أسفل الحصون) يا أعداء الله.. لا نبرح عن حصنكم حتى نقضى عليكم.. إنما أنتم بمنزلة ثعلب فى جُحْر!

بعض القريظيين : يا ابن الحضير، نحن مواليك دون الخزرج!

أسيد بن حضير : تسبون رسول الله؟! خنتم وغدرتم.. لا عهد بينى وبينكم ولا إلاّ (حلفًا) ولا ذمة!!

«النبى – عليه السلام – يقترب ولا يبالى، بينما لا يكف علىّ عن محاولة إثنائه عن التقدم..».

النبى : (لعلى مهدئًا) لو رأونى لما قالوا مما سمعت شيئًا..

(ينادى – عليه السلام – من أسفل الحصون) يا إخوان القردة! هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟!.. أتشتمونني؟

«القريظيون يسارعون إلى الإنكار.. يحلفون بالتوراة كذبًا أنهم لم يفعلوا..».

بعضهم : يا أبا القاسم، ما فعلنا! يا أبا القاسم، ما كنت جهولا!

«المسلمون يتجمعون بخارج الحصون عند بئر «أنا» (من آبار بنى قريظة).. يصلون مع العشاء صلاة العصر الذى فاتهم فى تلبيتهم نداء الرسول ألاّ يصلوا العصر إلا ببنى قريظة.. المسلمون يضربون مضاربهم بخارج الحصون، لايبدأون بقتال حتى يمضى الله أمره.. بينما يدرك القريظيون أنه لا جدوى من رميهم المسلمين بالسهام، فيطل بعضهم من أسوار الحصون..».

بعض القريظيين : (صائحين) دعونا نكلمكم..

«النبى – عليه السلام – يشير إلى أصحابه أن «نعم».. فيبادر القريظيون إلى نَبّاش بن قيس.. يدلونه من أعلى الحصن، ليتحدث إلى رسول الله ﷺ..».

«بأسفل الحصون.. النبى – عليه السلام – وقد أَمّن نبّاش بن قيس، وأخذ يسأله عما يريدون..».

نَبّاش بن قيس : (للنبى) يا أبا القاسم، ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير من الأموال والحلقة (السلاح والدروع).. ونخرج من بلادك بالنساء والذرارى ولنا ما حملت الإبل إلا الحلقة..

«النبى – عليه السلام – لا يجيبه إلى ما يعرض..».

نباش بن قيس : (يستأنف) تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا بما حملت الإبل..

«النبى – عليه السلام – يأبى عليه أن يعقد معهم اتفاقًا بعد أن غدروا وخانوا وطعنوا المسلمين فى ظهورهم.. يأبى عليه السلام إلا أن ينزلوا على حكمه.. ينصرف نباش بن قيس خائبًا محبطًا إلى قومه!».

* * *

«بحصون بنى قريظة وقد طال أمد الحصار.. قد بعثوا إلى النبى – عليه السلام – أن يرسل إليهم أبا لبابة يستشيرونه فى أمرهم، فهو من الأوس: حلفائهم قبل أن يغدروا ويخونوا.. لم يبخل عليهم النبى – عليه السلام – بما طلبوه.. القريظيون يفتحون حصونهم لاستقبال أبى لبابة.. يبادرونه..».

القريظيون : ما ترى يا أبا لبابة؟!

«أبو لبابة صامت حائر..»

كعب بن أسد : يا أبا لبابة، إنا قد اخترناك على غيرك.. وإن محمدًا قد أبى إلا أن ننزل على حكمه.. (يستأنف) أترى أن ننزل على حكمه؟

أبولبابة : نعم.. إنه (وهو يشير إلى حلقه) إنْ لم تفعلوا!

«القريظيون يتغشاهم الخوف والاضطراب وتركبهم الهموم، بينما يبدو الندم على أبى لبابة مما فرط منه.. ينصرف تاركًا بنى قريظة فى غمّ وهمّ مقيم!!».

* * *

«مضارب المسلمين حول حصون بنى قريظة، وقد تناهى إليهم أن منافقًا أرسل إلى أبى سفيان كتابًا يحذره من الرسول والمسلمين أنهم طالبوه.. يحرك الغدر والخيانة أشجانهم على ما فعله يهود بنى قريظة من غدر ونقض لعهدهم مع الرسول – عليه السلام – ولا يستحون رغم ذلك أن يطلبوا من النبى أن يبعث إليهم صاحبه أبا لبابة ليستشيروه فى أمرهم راجين أن يشير عليهم..».

«النبى ﷺ فى خلوته يتعبد ويناجى ربه، يشكو إليه سبحانه غدر وخيانات الناس، ويضرع إليه سبحانه أن يحمى المؤمنين من الفتنة وهنات النفوس.. يتنزل عليه الروح الأمين بآيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنفال: الآيتان: ٢٧ – ٢٨]

(يرتفع الوحى)

* * *

«أبو لبابة بادى الحزن والاكتئاب، خال إلى نفسه وقد اعتزل الناس بالمسجد النبوى.. يراجعه بعض ذويه لماذا آب من حيث يحيط المسلمون بحصون بنى قريظة مع رسول الله.. يأبى أبو لبابة إلا أن يعتزل صائمًا عن الطعام والشراب حتى يموت!».

قريب : لم يا أبا لبابة؟!

أبو لبابة : قد خنت الله ورسوله! لا أدرى ما الذى جعلنى أشير لحلقى إلى بنى قريظة عندما سألونى هل ينزلون على حكم رسول الله..

القريب : هل أنهى إليك رسول الله ذلك؟

أبو لبابة : بل استنتجته إنْ لم ينزلوا على حكمه!

القريب : ما خنت إذن، وإنما أبديت المشورة التى طلبوها إليك!

أبو لبابة : بل والله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله! (يستأنف) والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت ولا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ!

القريب : لا أراك قد خنت، ما ذكرت لهم شيئًا قاله لك رسول الله!

أبو لبابة : أما سمعت ما تنزل على رسول الله؟! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة الأنفال: الآية: ٢٧]..

القريب : نزلت فى المنافق الذى أرسل إلى أبى سفيان يطلعه ويحذره أن الرسول والمسلمين يريدونه ويجدون فى طلبه!

«أبو لبابة يغرق فى تأملاته حائرًا بين الرجاء فيما يقوله قريبه، والخوف من أن يكون القرآن قد نزل فيه!.. لا يجد أمامه تكفيرًا عما زلف به سلوكه إلا أن يعتزل ويفارق الطعام والشراب ندمًا حتى يموت أو يتوب الله عليه..».

* * *

«النبى عليه السلام فى صحابته، يتفقد صاحبه أبا لبابة فلا يراه.. يسأل عنه، فيخبره الصحابة بأنه اعتزل حابسًا نفسه عن الناس لا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه..».

النبى : (فى سماحة) أما إنه لو جاءنى لاستغفرت الله. فأما إذ قد فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه!

* * *

«بداخل حصون بنى قريظة.. كعب بن أسد رئيس اليهود فى ملأ من كبار الأحبار وشيوخ اليهود ورؤسائهم، ومعهم حيى بن أخطب زعيم بنى النضير - يجلس كسيفًا مما تسبب لبنى قريظة فيه.. لا يحسن حديثًا، ولا يجد ما يقوله، بينما يبادئهم كعب بن أسد بالكلام..».

كعب بن أسد : يا معشر بنى قريظة، قد نزل بكم من الأمر ما ترون!!

بعضهم : فما ترى؟!

كعب بن أسد : إنى عارض عليكم خلالا ثلاثًا فخذوا ما شئتم منها!

القريظيون : فما هى؟

كعب بن أسد : نتابع هذا الرجل ونصدقه..

بعضهم : (مرددين) نصدقه؟!!

كعب بن أسد : فما الذى تكرهون فى ذلك؟! أليس الذى وجدناه فى كتبنا؟! (يستأنف) تأمنون بذلك على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم..

بعضهم : أنترك حكم التوراة؟! لا نفارق حكم التوراة أبدًا، ولا نستبدل به غيره!

كعب بن أسد : والله إنكم لتعلمون أنه نبى، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد لأنه ليس من بنى إسرائيل!!

قريظى : (مستنكرًا) ما هذا يا كعب؟!

كعب بن أسد : هو حيث جعله الله، وإنكم لتعلمون أننى كنت كارهًا لنقض العهد والعقد.. ولكن البلاء والشؤم من هذا الجالس!!

«يشير إلى حيى بن أخطب، فيطرق ابن أخطب واجمًا لا يجد ما يقوله..».

كعب بن أسد : (يستأنف) أتذكرون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم: تركت الخمر والخمير والتمير، وجئْتُ إلى السَّقَاء والتَّمْر والشعير..

القريظيون : وما ذاك؟

كعب بن أسد : قال إنه يخرج بهذه القرية نبى، وأنه إن خرج وهو حى تبعه ونصره، وإن خرج بعده فإيانا أن نخدع عنه.. قد آمن بالكتابين، وأوصانا ابن خراش أن نصدقه ونتبعه.. (يستأنف) فتعالوا فلنتابعه ونصدقه.

القريظيون : (معاندين مكابرين) بل لا نفارق حكم التوراة أبدًا، ولا نستبدل به غيره

كعب بن أسد : (محبطًا) فإذا أبيتم عليّ هذه، هلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصْلتين (شاهرين) السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً. فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعَمْرى لنجدن النساء والأبناء.

القريظيون : أنقتل هؤلاء؟! فما خير العيش بعدهم؟

كعب بن أسد : فإن أبيتم عليّ هـذه، فتعالـوا نخرج عليهم هذه الليلة. ولا تقولن إن الليلة ليلة السبت! فعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فننال منهم، فانزلوا فلعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّة!

القريظيون : (فى لجاجة) تفسد علينا سبتنا، وتحدث فيه ما لم يُحْدث فيه من كان قبلنا؟!!

بعضهم : (مستدركين) إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من مسخ الذين مسخهم الله قردة وخنازير!!

كعب بن أسد : (وقد عيل صبره) ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا..

«ينبرى بالمجلس ثعلبة وأسيد ابنا سعيد، ومعهمـا عمهمـا أسـد بن عبيدة من أبناء عمومة بنى قريظة مؤازرين كعب ابن أسد..»

ثعلبة وأسيد وأسد : يا معشر بنى قريظة، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأن صفته عندنا، وحدثنا به علماؤنا وعلماء بنى النضير..

(يشيرون إلى حيى بن أخطب) وهذا أولهم..

«حيى بن أخطب واجم لا ينبس ببنت شفة..»

القريظيون : (فى عناد) لا نفارق التوراة..

«ثعلبة وأسيد وأسد – ينصرفون لا يلوون على شيء وقد عيل صبرهم من أبناء عمومتهم..»

عمرو بن سعدى : (منبريًا وقد علاه الاستياء) يا معشر يهود إنكم قد حالفتم محمدًا على ما حالفتموه عليه، فنقضتم عهده الذى كان بينكم وبينه..

قريظى : (ساخرًا) وأنت؟!

عمرو بن سعدى : لم أدخل فيما دخلتم فيه، ولم أشارككم فى غدركم..

«القريظيون واجمون..»

(يستأنف) فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية، وأدوا إليهم ما عليكم لتكونوا فى ذمتهم.. فو الله ما أدرى يقبلها أم لا؟

القريظيون : (مكابرين معاندين) نحن لا نقر للعرب بخرج فى رقابنا يأخذونه.. القتل خير من ذلك..

عمرو بن سعدى : (وهو ينصرف مغاضبًا) فإنى برىء منكم..

«ينصرف عمرو بن سعدى بين وجوم بنى قريظة وحيرتهم فيما يفعلون!!».

❊ ❊ ❊

«بخارج حصون بنى قريظة، وقد أرخى الليل سدوله، ونفر من المسلمين قائمون بالحراسة.. يلحظون شبحًا قادمًا فى الظلام من ناحية الحصن.. يلحظه محمد بن مسلمة..»

محمد بن مسلمة : (مناديًا) من هذا؟

عمرو بن سعدى : عمرو بن سعدى..

محمد بن مسلمة : (لعمرو) قد عرفناك.. مُرّ.. (محادثًا نفسه) اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام..

«محمد بن مسلمة يخلى سبيل عمرو بن سعدى، فينطلق إلى المسجد النبوى بالمدينة.. يبيت فى ليله آمنًا حتى إذا انبلج الصبح انسلت من هناك إلى حيث شاء..».

«النبى عليه السلام فى بعض أصحابه، يروون له ما صنعه محمد بن مسلمة مع عمرو بن سعدى الذى لم يشارك قومه فيما دخلوا فيه».

النبى : (لأصحابه) هذا رجل نجاه الله بوفائه!

* * *

«على مشارف حصون بنى قريظة.. المسلمون فى مضاربهم لا يبادئون بهجوم، يخرج عليهم قريظى يختال فى غرور وينادى..».

القريظى : (فى خيلاء) من يبارز؟

«ينهض إليه الزبير بن العوام.. يمتشق سيفه ويطير إليه.. ترقبه أمه صفية بنت عبد المطلب..».

صفية بنت عبد المطلب: وَاحَدِيِّ!

النبى : أيهما علا صاحبه فاز..

«الزبير يكر كرة هائلة على القريظى المتخايل، لا تمضى الصولة الأولى إلا والزبير قد نال من المبارز فأرداه.. تتصاعد تكبيرات المسلمين..».

* * *

«بنو قريظة فى حصونهم وقد طال بهم الحصار، واشتدت عليهم وطأته.. فأخذوا يبثون رسلهم إلى الأوس يدعونهم إلى التشفع لهم عسى أن يصيبوا ما أصابته الخزرج فى تشفعها لبنى قينقاع..».

* * *

«النبى – عليه السلام – فى صحابته من المسلمين، وقد التأم إليه بعض رؤوس الأوس يتشفعون لبنى قريظة..»

الأوس : يا رسول الله حلفاؤنا دون الخزرج، وقد رأيت ما صنعت بالأمس ببنى قينقاع حلفاء ابن أُبَى..

أوسى : قد وهبتَ له يا رسول الله – ثلاثمائة حاسر وأربعمائة دارع!

أوسى ثان : (متشفعًا) وقد ندم حلفاؤنا بنو قريظة على ما كان من نقضهم العهد.. فهبهم لنا يا رسول الله..

«النبى – عليه السلام – ساكت يسمع ولا يتكلم.. يكثر إلحاح وتشفع الأوس، النبى – عليه السلام – لا يفارقه حلمه، ينظر إليهم فيقول لهم..».

النبى : (للأوس) هل ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم؟

الأوسيون : نعم يا رسول الله.

النبى : فاختاروا من شئتم من أصحابى..

الأوسيون : سعد بن معاذ..

النبى : (موافقًا) فذلك إلى سعد بن معاذ..

«يتهلل الأوسيون.. يسرع بعضهم إلى دار كُعَيْبة بنت سعيد الأسلمية حيث يتداوى سعد بن معاذ من جرحه الشديد الذى أصابه بالخندق.. أمر النبى بأن تنصب له خيمة فى المسجد ليعوده عليه السلام من قريب ويطمئن عليه.. يحيط الأوسيون بصاحبهم سعد بن معاذ.. رجل جسيم حلو الطلعة.. يحملونه على حمار عليه إكاف من ليف فوقه قطعة من القطيف وخطامه من ليف.. يمضى الركب بسعد ابن معاذ يشق أزقة المدينة إلى حيث رسول الله – عليه السلام – على حصون بنى قريظة..».

الأوسيون : (يتصايحون حول سعد بن معاذ) يا أبا عمرو، إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم..

آخرون : (ملحين) فأحسن يا أبا عمرو إليهم..

آخرون : قد رأيت يا أبا عمرو ما صنع ابن أُبَىّ فى حلفائه!

سعد بن معاذ : (وقد تكاثر إلحاحهم عليه) قد آن لسعدٍ ألاّ تأخذه فى الله لومة لائم..

* * *

«على مشارف حصون بنى قريظة، يصل الركب بسعد بن معاذ، يستقبله الرسول – عليه السلام – حفيًّا به ينادى فى أصحابه..».

النبى : قوموا إلى خيركم فأنزلوه..

«ينهض الصحابة إلى صاحبهم الجريح، ينزلونه ويحفون به إلى الرسول عليه السلام..».

النبى : (لسعد بن معاذ) احكم فيهم يا سعد.

سعد بن معاذ : الله ورسوله أحق بالحكم!

النبى : قد أمرك رسول الله أن تحكم فيهم.

الأوسيون : (متصايحين) يا أبا عمرو، إن رسول الله قد ولاك الحكم فى أمر مواليك فأحسن فيهم، واذكر بلاءهم عندك!

«سعد بن معاذ سابح فى خواطره غير ملتفت إلى صياح من حوله.. يذكر ما كاد الإسلام يتعرض له من فناء بغدر هؤلاء القريظيين الذين نقضوا وخانوا وتآمروا مع الأحزاب على الإسلام ورسوله.. وإنه ليذكر كيف ذهب إليهم موفدًا من رسول الله مع أصحابه سعد بن عبادة وعبدالله بن رواحة فما كان منهم إلا أن وقعوا فى النبى عليه السلام وأساءوا إليه حتى اشتعل غضبًا لرسول الله.. وإنه ليذكر فيما يلم به من خواطر كيف طعنوهم من ظهرهم وأرسلوا من يهاجم النساء فى حصن حسان بن ثابت لولا أن تصدت صفية بنت عبد المطلب، وكيف أمعنوا فى ذلك حتى اضطر النبى أن يسحب من عسكر المسلمين على الخندق - سلمة بن أسلم وزيد بن حارثة ليبعثهما فى نحو خمسمائة رجل لحراسة المدينة والنساء والذرارى من غدر وخيانة وتآمر بنى قريظة.. ترى ما الذى يطمعون فيه لقاء هذا الغدر والخيانة والإفساد فى الأرض؟!! هل يستحقون إلا القصاص العادل لقاء ما فعلوا؟!!».

سعد بن معاذ : (مناديًا على بنى قريظة المطلين من حصونهم) أترضون حكمى؟

القريظيون : نعم، قد رضينا بحكمك، وأنت غائب عنا.. اختيارًا منا لك، ورجاءً أن تمن علينا كما فعل غيرك بحلفائه بنى قينقاع، وأثرنا عندك أثرنا، وأحوج ما كنا اليوم إلى مجازاتك..

سعد بن معاذ : (للقريظيين) ما آلوكم جهدًا..

القريظيون : (متسائلين) ما يعنى بقوله هذا؟!

الأوسيون : (يتنادون) يا أبا عمرو، إن رسول الله قد ولاّك أمر مواليك لتحكم فيهم.

سعد بن معاذ : (يلتفت إلى الأوسيين) عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟

الأوسيون : نعم.

«سعد بن معاذ يحجم تأدبًا وإجلالا عن المناداة على الرسول – عليه السلام – فيشير إلى الناحية الواقف مع المسلمين فيها دون أن يفصح باسم الرحمة المهداة..».

سعد بن معاذ : وعلى من ها هنا مثل ذلك؟

النبى : (مبادرًا) نعم.

سعد بن معاذ : (بعد أن يتمهل قليلاً) فإنى أحكم أن يُقْتَل المقاتلون، وتُسبى النساء والذرارى.

النبى : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات..

❊ ❊ ❊

«المسلمون فى رحاب الرسول عليه السلام حول حصون بنى قريظة.. لا يمنعهم غدر

وخيانة اليهود وما حكم به سعد بن معاذ، من إطلاق الرحمات والاستباق إلى الإسماح.. يذكر ثابت بن قيس بن شمّاس ما سبق أن مَنَّ به عليه الزبير بن باطا يوم بعاث، فيطير إليه يتلمسه بين أسرى بنى قريظة حتى يجده..».

* * *

ثابت بن قيس : (للزبير بن باطا) هل تعرفنى يا أبا عبد الرحمن؟

الزبير بن باطا : وهل يجهل مثلى مثلك؟!

ثابت بن قيس : أريد أن أجزيك على ما مننت به يوم بعاث!.. إن لك عندى يدًا وقدرت أن أجزيك بها.

الزبير بن باطا : إن الكريم يجزى الكريم.. وأحوج ما كنت إليك اليوم.

«ثابت بن قيس يطير إلى الرحمة المهداة، يستطلقه الزبير بن باطا، فيطلقه عليه السلام له. يسأله تباعًا أن يمنّ عليه بماله وأهله، فيعطيه الرحمة المهداة ولده وأهله وماله.. يعود ثابت فرحًا إلى الزبير يبشره بالمنة النبوية.. يشكر له ابن باطا ما أتاه به، لكن لا يريد إلا أن يلحق بقومه!!».

* * *

«وسط اختلاط المشاعر وما يموج بين المسلمين بعد حكم سعد بن معاذ.. يلحق بالرسول عليه السلام - ثعلبة وأسيد ابنا سعيد وأسد بن عبيد: الثلاثة من بنى هدل الذين خالفوا بنى

قريظة ولم يسايروهم فى غدرهم ولا فى عنادهم ورفضهم كل ما عرضه عليهم زعيمهم كعب بن أسد من خيارات.. فى رحاب الرحمة المهداة، يعلن الثلاثة إسلامهم ويشهدون بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. يتقبلهم رسول الله عليه السلام قبولا حسنًا، ويفتح لهم من إسماحه فيدخلون آمنين فى هداية وسلام وأمان الإسلام..».

* * *

«النبى ﷺ يمر بين القريظيين، فيلفى بين المقاتلين المحكوم عليهم غلامًا لم ينبت له ذقن ولا شارب.. يستكثر عليه السلام أن يكون هذا الغلام بين المقاتلين، يسأل عنه فيقال إنه «عطية القرظى» فيأمر ﷺ بأن يخلوا سبيله.. يطير الغلام فرحًا..».

«تقترب من النبى امرأة مسلمة: هى سلمى بنت قيس أم المنذر.. تبادره عليه السلام وهى تشير إلى يهودى هو رفاعة بن سموأل..».

سلمى بنت قيس : يا نبى الله، بأبى أنت وأمى.. هب لى رفاعة (تشير إليه) فإنه قد لاذ بى وزعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل.

«النبى عليه السلام يطلقه فى سماحة، ويستحييه ويمطره بالبركات عسى أن تتغشاه الهداية التى بها قد وعد..».

* * *

«النبى ﷺ خال إلى نفسه يتعبد ويتحنث ويناجى ربه، يحمده سبحانه على ما أفاء به على المسلمين من نصر هزم به الأحزاب، وخلصهم من غدر بنى قريظة.. يتنزل عليه الروح الأمين فيتلو عليه ويوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأحزاب: الآيات: ٢٥ – ٢٧]

(يرتفع الوحى)

* * *